مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الطاوية والأزمات العالمية الراهنة: آراء في الأخلاق والسُلطة

تأليف:
كينيث رينرت

ترجمة:
كريم عبد الحميد محمد

2024

- **ترجمة**
- **قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة**
- 28 يونيو 2024

جميع الحقوق محفوظة © 2024

الطاوية والأزمات العالمية الراهنة: آراء في الأخلاق والسُلطة

تأليف: **كينيث رينرت**[1]

ترجمة: **كريم عبد الحميد محمد**

1 - **كينيث أ. راينرت Kenneth A. Reinert** هو أستاذ السياسة العامة في كلية شار the Schar School للسياسة والحكم بجامعة جورج ميسون George Mason University. حاصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة ميريلاند University of Maryland، وشغل منصب كبير الاقتصاديين الدوليين في لجنة التجارة الدولية الأمريكية، وأستاذ مشارك في الاقتصاد في كلية كالامازو Kalamazoo College. وهو يعمل في مجالات الاقتصاد الدولي، وسياسة التنمية، والأخلاق الاقتصادية.

المُستخلص

الهدف - الغرض من هذه الورقة البحثية هو معرفة مدى إسهام الفلسفة الطاوية بآراء موضوعية وأخلاقية تتعلق بالأزمات العالمية الراهنة، بما في ذلك التغيُّر المناخي، وانعدام الأمن الغذائي، واستمرار النزاعات، وزيادة الاستبداد.

المنهجية - سوف يتم القيام بمراجعة نقدية لنصوص مُعينة من كتاب التاو تي تشينغ Tao Te Ching وبعض الأبحاث المُتعلقة بها.

النتائج - إن الفلسفة الطاوية، ذات الجذور العتيقة، على صلة وثيقة بالأزمات المُعاصرة بشكل يُثير الدهشة. فبالرغم من أنها لا تُعطي حلول نهائية، إلا أنها تطرح آراء موضوعية وأخلاقية لإعادة النظر في السُلطة بطُرُق أكثر فاعلية.

الجِدّة/الأهمية - بالرغم من أن هناك العديد من الأدبيات التي تدور حول الفلسفة الطاوية، إلا أن هناك أيضًا نُدرة في المقالات البحثية التي تتناول الفلسفة الطاوية وعلاقتها بالقضايا المُلحة المُعاصرة. ومن ثم، تعمل هذه المقالة على التأليف بين تلك المصادر وإعادة تقيمها، مع الأخذ في الحُسبان الأبحاث ذات الصلة.

نوع الورقة - ورقة مفاهيمية

من جديد، يجد العَالَم نفسه مُتورطًا في أزمة عالمية، أو بعبارة أدق، في عدة أزمات تقوم بمُساندة بعضها البعض؛ تلك الأزمات تتضمن عواقب التغيُّر المناخي، والحرمان من الاحتياجات الأولية بما في ذلك انعدام الأمن الغذائي، واستمرار النزاعات، وزيادة الاستبداد. ومن ثم؛ فإن تفاقم هذه الأزمات يترتب عليه العديد من العواقب الوخيمة التي من شأنها الإضرار برفاهية الإنسان وتهديد سِلْمه. ومن ثم، يقوم هذا المقال بالتقصي فيما إذا كانت هناك نصوص من الفلسفة الطاوية ترتبط بهذا الموضوع، ولا سِيّمَا ما إذا كانت هذه النصوص الفلسفية قد قدمت أي تصور حول الأسباب الجوهرية التي أدت لتلك المصائر المؤسفة، ووضعت طرائق لمُعالجتها. الإجابة هي «نعم» مُسبقًا؛ قدمت الطاوية بالفعل بعض التصورات الموضوعية والأخلاقية المُهمة التي تدور حول الأزمات الراهنة، والتي لها تأثير إيجابي أفضل عند التعامل مع تلك الأزمات.

إن مفهوم الـ»تاو» يُشير إلى عدة معانٍ، أبرزها «الطريق». بالإضافة إلى أنه يُعبر عن العمليات الطبيعية المُعقدة التي تنبثق عن مصادرها، والتي ينبغي التحقق منها تجريبيًا، والتي يتم مُراعاتها بشدة، ولكنها تظل غير مفهومة جُملةً وتفصيلًا. فالتاو هو «السر» أو «اللغز المُظلم»، وأيضًا «المصدر» أو «الأم» لجميع الكائنات. ومن ثم، يجمع مفهوم الـ»تاو» في طياته ما بين التجريبية والقداسة، وهو اتحاد غير مألوف إلى حدٍّ بعيد، لكن يلعب دورًا مُهمًا في الزمن الراهن. على أي حالٍ، هناك نصان رئيسان في الفلسفة الطاوية؛ أبرزهما كتاب لاو تسي Lao Tzu الـ»تاو تي تشينغ Tao Te Ching»، وكتابات تشوانغ تسو Chuang Tzu التي تحتل نفس المكانة، وهو ينحدر من مدرسة لاو تسي الفكرية[1] .

كما شدَّد كلٍ من كريل Creel (1956)، وهينتون Hinton (2020)، وأونيل O’Neill وموبلرMoeller (2024)، وبيتمان Pettman (2005)، على أن هناك فرقا واضحا ما بين الطاوية الفلسفية والطاوية الدينية، ونحن هنا نُناقش الأولى بالتحديد. فعلى حد قول هينتون Hinton (2020)، تُناقش الطاوية الفلسفية العمليات «التي بواسطتها تُبعث الأشياء إلى الوجود، وتتطور على مدار حياتها، ثم تخرج من الوجود، لتتحوَّل وتُبعث في صور أخرى من جديد» (ص 21)[2]. كما سنُشاهد أيضًا، بأن على الرغم من هذا المستوى من التجريد، إلا أن هذا الجانب من الطاوية يتوغل في قضايا السُلطة، وسيكون هذا هو محور اهتمامنا الأساسي هاهنا.[3]

---

1 ذكر يوتانغ Yutang (1948) بأن: ”الركيزة الأساسية للتفكير وخصائص التصورات عند هذين الفيلسوفين كانتا مُتطابقتين. لكن بينما كان لاو تسي يتكلم بالأمثال، كان تشوانغ تسو يكتب مقالات فلسفية مُطولة واستطرادية“ (ص 7). كما أشار إلى أن ”رأي الفيلسوفين كان مُتطابق بشكل كبير“ (ص6).

2 وبشكل أكثر إيجازًا، الطاو يُعد هو ”الأساس الإبداعي، والتطوري، والباعث للوجود“ (Xia and Schonfeld, 2011, p. 198198) أو ”الغياب الذي يصدر عنه الوجود“ (Hinton, 2020, p. 23).

3 عبر كريل Creel (1956) عن الطاو بأنه ”إستشعار الطريق وسير السلوك“ (ص 139). وهذا الأخير هو الذي يسمح بفرصة التحقق من الحكم. نرى هذا أيضًا عند بيتمان Pettman (2005) الذي طرح أحد التعريفات للطاوية على أنها ”كُتيب حول كيفية الحكم وكيفية التعامل مع الحرب“ (ص 70).

علاوة على ذلك، سوف نقوم بمُناقشة القضايا المُتعلقة بالاحتياجات الإنسانية (بما في ذلك الأمن الغذائي)، والاستبداد، والنزاعات، والتغيُّر المناخي. ومن أجل القيام بتلك المُهمة، سوف نعرض ونتأمل ترجمات لنصوص رئيسة مُختارة من كتاب التاو تي تشينغ Tao Te Ching، بما في ذلك ترجمات «وو Wu" (2003)[4]. ومن ثم نبدأ بالقضايا المحورية، التي تتضمن تصورات مُشوهة عن الاحتياجات الإنسانية في كثير من الأحيان. ثم ننتقل بعد ذلك إلى الاستبداد والنزاع، ونختتم بقضايا التغيُّر المناخي. كذلك، يجب الأخذ في الحسبان بأننا نبحث بإيجاز بعض العناصر من الممارسة الطاوية. فبالرغم من أهمية الطاوية وشُهرتها الواسعة، إلا أن الأدبيات البحثية للمواضيع التي يتم مُناقشتها هاهنا تُعد شحيحة بشكل عجيب، ولكنها تظل رغم ذلك ذات صلة. أما فيما يتعلق بالجزء الخاص بالمُلخص والاستنتاجات، فسوف يتم الربط بينهما للبرهنة على أهمية هذه الفلسفة العتيقة بالنسبة إلى زمننا الراهن[5].

الاحتياجات الإنسانية

إن التصور الرئيس الذي يدور حول رفاهية الإنسان وسِلْمه يتمثل في التمييز ما بين الاحتياجات، والميول، والرغبات، والتفضيلات، وهو ما تم تناوله من قبل راينيرت Reinert (2018) بشكل مُفصل، ضمن مجموعة من الباحثين. وبإيجاز شديد، يقول إن: «الاحتياجات تُعد من الأمور الموضوعية التي يُمكن التحقق منها بشكل تجريبي، في حين تُعد الرغبات أو الميول من الأمور الشخصية»[6]. بالإضافة إلى ذلك، فإن الاحتياجات هي التي تُعزز حياة الكائن البشري، وتمنحه القدرة على البقاء حيًّا، وتعمل على تطويره جسديًا واجتماعيًا. ومن ثم، فإن العجز عن تلبية الاحتياجات أكثر أهمية من العجز عن تلبية الرغبات، والميول، والتفضيلات.

وشدَّدَ برايبروك Braybrooke (1987) في الفلسفة الأخلاقية على أن "مفهوم الاحتياجات يختلف بالكامل عن مفهوم التفضيلات" (ص 5)، ووصف جريفين Griffen (1986) الرفاهية بأنها "المرحلة التي تتم عندها تلبية الاحتياجات الأولية ما دامت على نفس القدر من الأهمية" (ص 42). أما على صعيد السياسة الاجتماعية، أكد دويال Doyal وجوف Gough (1991) على أن الاحتياجات «شمولية» و«مُتعارف عليها» وأن «الاحتياجات الإنسانية الأولية... توجه المرء نحو ما يتوجب عليه فعله إذا ما أراد تفادي الأضرار الجسيمة والمُتكررة» (ص 50). وعلى الصعيد الاقتصادي، صرح كورنينج Corning (2000) بأن الاحتياجات هي «المنطق الضمني... للعَالَم الاقتصادي» و«الهيكل الخرساني الذي تنشأ عليه الاقتصاديات» (ص 79). بالإضافة إلى ذلك، كما وضَّح باكستر Baxter وموسى Moosa (1996)، بأن الاحتياجات يُمكن تحديدها بواسطة تحليل الاقتصاد القياسي

4 هناك الكثير من الترجمات المُتاحة، حيث يُعد كتاب الـ"تاو تي تشينغ" واحدًا من أكثر الأعمال التي تُرجمت في التاريخ. علاوة على ذلك، ينتقد هينتون Hinton (2020) بشدة العديد من اعمال الطاوية المُترجمة، بما في ذلك ترجمات وWu (2003). ويمكن للقارئ المُهتم أن يبحث عند هينتون Hinton (2015) لكي يَحصُل على ترجمة بديلة.

5 على الرغم من وجود القول المأثور في الطاوية "تَشَبّث بالأنوثة"، إلا أن هناك العديد من الأدبيات تستعمل كلمة "الرجل" كنقطة مرجعية. لذا نُشير هاهنا ونستشهد ببعضًا من هذه المصادر مع الاعتراف بانحرافها عن الروح الجندرية للطاوية.

6 لمزيد حول الذاتية و"المواقف المؤيدة"، انظر سومنر Sumner (1995).

نظرًا لتمتُعها بمجموعة من السمات المميزة. وبإيجاز شديد، يتضح بأن الاحتياجات يُمكن أن تُعد تصورًا سَديدًا من الناحية النظرية والتجريبية، وكما صرح راينيرت Reinert (2018)، بأنه «لا يتم مُطابقتها بشكل كامل نسبيًا مع ما يترتب عليه من نتائج تعود بالسلب على رفاهية الإنسان وسِلْمه».

وعلى مستوى السياسة العالمية، نرى فكرة الاحتياجات حاضرة في بيان مُنظمة العمل الدولية (ILO) لعام 1938 عن المستويات المعيشية للعمال (ILO, 1938) لكن تم تغييرها لتصبح على هيئة احتياجات أولية مُدرجة في سياسات التنمية (أنظر، Lisk، 1977). بالإضافة إلى أن راينيرت Reinert (2023) قد قام بمُناقشتها، ففكرة الاحتياجات الأولية وجدت لها أصداء بعد ذلك في نهج السلع الأساسية وفكرة الحقوق المعيشية. وعلى الرغم من أن فكرة الاحتياجات تُعد في كثير من الأوقات «أمرًا من الماضي» في مجالات السياسة التنموية، إلا أنها بقيت مُهمة حتى تلك اللحظة، لا سيما في أوقات الأزمات العصيبة التي تُهدد أمن الإنسان وسلمه. على أي حالٍ، وكما هو واضح أدناه، فإن الاحتياجات تُعد أمرًا حيويًا في الفلسفة الطاوية.

تقوم الآيات (3، 12) من كتاب التاو تي تشينغ Tao Te Ching بمُناقشة موضوع الاحتياجات في مُقابل الرغبات، مع تكرار المفاهيم الأساسية في موضع آخر من النص:

> تبدأ سُلطة الحكيم بتجريد القلب من الرغبات، وملء المعدة بالطعام (Wu, 2003, p. 7).

> الحكيم يعتني بالمعدة، وليس بالعين (Wu, 2003, p. 25).

من الجلي أن هذه المُقتطفات تعطي الأولوية للاحتياجات على حساب الميول، والرغبات، والتفضيلات، وسيكون من الصواب إذا قُلنا بأن التاو تي تشينغ the Tao Te Ching توخَّى الحَيْطَة خاصةً فيما يُطلق عليه علماء الأخلاق «الرغبة غير المُتعقلة»[7]. وقد ذكر بيتمان Pettman (2005) بأن «الطاوية تُوصينا بالحِرص والقناعة، وإدخال السرور على البُسَطاءُ، وبعدم الإعلاء من شأن المال» (ص 77). واتفق هينتون Hinton (2015) مع هذا التقييم، حين قال إن: «لاو تسي Lau Tzu كان يسعى إلى مُجتمع غني ومُتوائم، يقوم فيه البشر بتلبية احتياجاتهم، ويتغافلون عن رغباتهم»، وقد أطلق على ذلك اسم «النقد السياسي للرغبة» (ص 25)[8]. علاوة على ذلك، أشار هينتون Hinton بأن "الرغبات حين تتعدى (الاحتياجات الطبيعية)، تُحول مُجتمع المُساواة إلى نَسيج سامّ من السيادة والعبودية، حيث ترضخ المجموعة إلى رغبات الصفوة من الناس" (ص 25). إن تلك المُلاحظة جديرة بالإهتمام، بالأخص في عالم غير مُتكافئ بشكل مُتزايد، يسود فيه الحرمان من الاحتياجات الأولية.

---

7 وبخصوص الرغبة غير المُتعقلة non-prudential desire، انظر، على سبيل المثال إلى مثال أرنيسون Arneson (1999).

8 كذلك تطرق يوتانغ Yutang إلى "النقد السياسي للرغبة"، حين قال: "أن الإنسان خسِر بعض الإحتياجات الضرورية التي تُساعد على السلام النفسي، أمام الاحتياجات المادية للحياة المدنية" (ص 121).

إن هذا الدرب من الطاوية يتسق بشكل كبير مع «مبدأ الأولوية» الذي أشار إليه برايبروك Braybrooke (1987) والذي تُمنح فيه الأولوية لمسائل الاحتياجات على حساب مسائل الميول أو الرغبات. وقد ابتكر برايبروك Braybrooke ما أطلق عليه «الأولوية الغائية الصارمة»، حيث «يتم ترتيب مسائل التفضيل أسفل الاحتياجات، بغض النظر عما إذا كانت تلك المسائل مُرتبة فيما بينها أم لا» (ص 72)، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، ونَصَحَ بتوجيه السياسات نحو الحد الأدنى من معايير الإحتياطي العالمي لتوفير كل إحتياج مُتعلق بهذا الشأن، واعتبر تلبية الاحتياجات حقًا أصيلًا، وهو ما أطلق عليه اسم «أدنى الأخلاق» (ص 131). ومن أجل تحقيق هذه الغاية، طرح برايبروك Braybrooke مفهوم "العدل مع المُساواة في تلبية الاحتياجات" (ص 149) وذهب إلى حد التعريف بكيفية تطبيقه. وأشار إلى أن «مفهوم العدل لا يمكنه مُطلقًا أن يتغاضَى عن الاحتياجات» (ص 151)[9].

على الرغم من هذا التصور المُهم، فإن أغلب السياسات الاجتماعية العالمية تنتقص من قيمة الدور الذي تلعبه الاحتياجات البشرية، كما ذكر القارئ Reader (2005):

إن الإقبال المُتزايد على مفهوم الاحتياجات من قبل الفلاسفة، والمُنظرين السياسيين، والمُفكرين التنمويين، لم يُحدث حتى الآن أثرًا يذكر في فكر الحكومات، أو الاقتصاديين، أو المديرين التنفيذيين للمؤسسات الكبيرة. وبالتالي، فإن الجُرم الذي يرتكبه هؤلاء النُوَّاب هو جُرم أخلاقي: فهم يرفضون ويتجاهلون أمرًا ذا أهمية أخلاقية رئيسة واضحة (ص 5).

إن الفلسفة الطاوية تُقدم حلًا لهذا «الجُرم»، وهو البديل الذي أصبح ذا ضَرورة مُلحة في عالم يتسم بالأزمات والظُلم. وفي الحقيقة، أكد هينتون Hinton (2015) على "اهتمام لاو تسي Lao Tzu بحالة البُؤس التي يُعاني منها كافة البشر" وأن هذا "قاده إلى الدفاع عن مبادئ سياسية تتعارض مع مفاهيم رئيسة في فلسفته" (ص 26). ووصف هينتون Hinton هذا الوضع بأنه «وضع أليم تزداد حدته مع استمرار المُجتمعات الطبقية في النمو بسبب الظُلم الاجتماعي» (ص 26). وهذه الملحوظة تتفق بالكامل مع مُلاحظات رينرت Reinert (2018)، حول الإخفاق المُستمر والواسع النطاق في تلبية الاحتياجات الإنسانية الأولية.

في زمن ما بعد التاو تي تشينغ the Tao Te Ching، قام علماء الطاوية بتأليف كتاب هوايانانزي the Huainanzi، الذي وصفه كليري Cleary (2022) بأنه «أحد أقدم مؤلفات الفلسفة الطاوية وأكثرها تميزًا» (ص 7). وفي هذا الكتاب، أشار أحد النصوص المُهمة إلى أن «الهدف الرئيس للسُلطة هو الحفاظ على سلامة المُجتمع، وإن سلامة المُجتمع تستند إلى تلبية الاحتياجات" (Cleary, 2022, p. 4). وهذا بيان مُجمل عن

9 وعلى نحو مُتصل، عمل الكاتب الاقتصادي في جامعة كامبريدج بيغو Pigou (1932) كذلك على التمييز بين الاحتياجات، والميول، والرغبات، والتفضيلات وحدد «معيارًا أدنى» يتشكل من تلبية الاحتياجات في صورة طعام وخدمات صحية وخدمات تعليمية وإسكان.

الأمن الإنساني وعلاقته بتلبية الاحتياجات قبل ألفي عام من ظهور التصور الحديث عن الأمن الإنساني الذي يتم العمل به حاليًا[10]. ويُعد هذا أيضًا دليلًا ملموسًا على صلاحية هذه الفلسفة العتيقة.

الاستبداديَّة

إن الزمن الحالي هو زمن الاستبداديَّة المُتجددة[11]، حيث أشار كلّ من كاسباروف Kasparov وهالفورسن Halvorssen (2017) في صيغة تمهيدية إلى هذا التيار العام، ولاحظا بأنه يجلب معه العديد من الأزمات الحقيقية، بما في ذلك الأزمات الاقتصادية. مع مُلاحظة أخرى، وهي أن نصف سكان العالم يعيشون تحت وطأة أنظمة استبدادية، وذكرا أيضًا بأن «الاستبداد هو أحد أكبر التحديات التي تواجه الإنسانية، إن لم يكن أكبرها في الواقع». وصرحا بأن «البلدان التي يقودها الدكتاتوريون لديها مُعدلات أعلى من الاضطرابات النفسية، وتكون المُعدلات الصحية مُنخفضة، وكذلك مُتوسط الأعمار، بالإضافة إلى قابلية التعرُّض إلى خطر المجاعات. علاوة على ذلك، فإن مواطنيها أقل تعليمًا ولا يُقدمون سوى القليل من براءات الاختراع، والعلة في ذلك ترجع إلى قمع حرية الفكر والإبداع الذي يَضُر بالابتكار والنمو الاقتصادي.

وقد أوضحت مُنظمة حقوق الإنسان (2020) في بيان لها أن "97% من اللاجئين على مستوى العالم يأتون من دول تحكمها أنظمة استبداديَّة، في حين أن 23 من أصل 30 دولة الأكثر فقراً تُهيمن عليها تلك الأنظمة أيضًا". وهناك 18 من أصل 20 دولة محكومة من قبل أنظمة استبدادية، لُوحظ أن لديها أزمة في الحصول على مياه الشرب الأساسية. وتُظهر المؤشِّرات الأخيرة أن هذه الأزمات تتفاقم، مع تَصاعُد التيارات الاستبداديَّة الديمقراطية في بعض البلدان (انظر،Brancati, 2014). على الرغم من ذلك، وبالنظر إلى سِجِلّات سوريا وفنزويلا الكارثية في مجال التنمية الاقتصادية والبشرية، إلا أن هناك الصين وفيتنام اللتين تنعمان بسِجِلّات أفضل كثيراً. ومن ثم، يُعرب هذا الأمر عن أهمية الأثر الذي يُحدثه تنوع الأنظمة الاستبداديَّة (انظر، Vasilyeva and Libman, 2020)، بيد أن نقد الطاوية للنموذج الاستبدادي والذي نعتمده هاهنا هو نقد عام.

في عام (1956)، ذكر كريل Creel بأنه "في الوقت الذي كان فيه تشوانغ تسو Chuang Tzuغير مُكترث للشأن السياسي أو لا سلطوي، كان لاو تسي Lao Tzu يقوم بتقديم قدر هائل من النصائح للملوك، وكبار الإقطاعيين، والوزراء حول كيفية الوصول إلى السُلطة والإبقاء عليها" (ص 142). لذا، فإن معرفة طرائق القيام بذلك تُعد أمرًا ضروريًا. على أي حالٍ، ذكر كريل Creel (1970) أنه «بات من المعروف بأن ظهور الطاوية يُمثل في بعض جوانبه، ردة فعل ضد السُلطة المُستبدة في زمن تشان كو the Chan-kuo» (ص. vii). وأوضح أيمز Ames (1981) بأن «لاو تسي Lao Tsu كان يسعى دائمًا لإقناع الحاكم بأن المواقف، والسياسات القمعية،

10 انظر، على سبيل المثال، إنجلهارت Inglehart ونوريس Norris (2012).

11 وصف جلاسيوس Glasius (2018) الإستبداديَّة بأنها تحتوي على «أنماط من التصرف تُشوه قابلية المُساءلة أمام الأشخاص الذين يتم السيطرة عليهم من قبل المُمثل السياسي عن طريق السرية أو التضليل أو قمع الأصوات». وقد وصف الفكرة المُرتبطة بهذا الأمر بعدم الليبرالية (التي غالبًا ما تمارسها الأنظمة الإستبداديَّة) على أنها "انتهاكات نمطية ومنظمة للحفاظ على الاستقلالية الفردية والكرامة" (ص 517).

والاستبداديَّة والجامدة، والوحشية لن تُفلح حتى في تحقيق الهدف الذي وضعته لنفسها – مَهما تَكُن السلطة السياسية» (ص 30). يتضح من ذلك، بأن «الوصول إلى السلطة والإبقاء عليها» في الفلسفة الطاوية لا يكون عن طريق الاستبداد.

على سبيل المثال، في الآية 17 من التاو تي تشينغ the Tao Te Ching، هناك مقولة رئيسة تُصرح بالآتي:

أشرف أنواع الحُكام هو الذي لا يكاد الناس يعرفون بوجوده، ويليه من يحبونه ويُمجدونه، ثم يأتي بعد ذلك من يخافونه، ويُختم بمن يزدردونه ويتصدون له (ص 35، Wu, 2003).

بالإضافة إلى الآية 66 التي تنص على الآتي:

يملُك الحكيم قلوب الناس بتواضعه في الخِطاب، ويَسوسهم حين يضع نفسه في المُؤَخِرة. وهكذا هو الحال حينما يَعْلُو الحكيم على أكتاف الناس، فلا يشعرون بثقل وزنه؛ وعندما يقف أمامهم لا يُؤْذُون (Wu, 2003, p. 151).

وقد تم تلخيص هذه الفكرة في الآية الشهيرة رقم 60 على النحو الآتي:

إن حكم مملكة كبيرة كطهي سمكة صغيرة (Wu, 2003, p. 137, p. 137)

ومن ثم، فإن الطاوية تستنكر الحُكم الاستبدادي. وللتأكيد على ذلك، قام ريد Reid (1925) بالتعويل على الفيلسوف الألماني بول كاروس Paul Carus (لكنه لم يستشهد به) الذي ذكر بأن[12]:

لاو تسي Lao tsze كان يُطالب الحكومة دائمًا بألا تتسيَّد، وأن تدير الأمور فحسب. ومن ثم، لا ينبغي للراعي أن يتحكم في المَسار الطبيعي للرعية، بل يتوجب عليه أن ينتهج سياسة اللافعل، وعدم التوسُّط، وعدم التطفُّل، حتى يشعر الناس بالكاد أن لديهم حاكمًا. فكلما قل تدخل الأساليب المُستحدثة في إسعاد الناس، كلما زاد غِناهم وسُرورهم (ص 293).

وكذلك، ردًّا على الآية 17، قام يوتانغ Yutang (1948) بتقديم ترجمة لتشوانغ تسو Chuang Tzu فحواها كالآتي: «حين تقع السُلطة في قبضة حاكم عظيم ينعكس ذلك على الأمة بأسرها، بيد أنه لا ينسب الفضل لنفسه؛ فهو يُغير ويؤثر في كل شيء، والناس لا يرجعون إليه. تأثيره موجود، لكن يستحيل أن تضع

12 في هذا الاستشهاد وغيره هاهنا، يشير استعمال مصطلح "اللا فعل non-acting" إلى المفهوم الطاوي وو-وي wu-wei، والذي يُترجم أيضًا إلى "اللا صخب non-ado" (Wu, 2003)، و"اللا عنف النشط active pacifism" (Pettman, 2005) و" الغياب عن الفعل Absence-action" (Hinton, 2020). وقد أشار هينتون Hinton (2020) إلى مفهوم وو-وي wu-wei على أنه "فرضية تأسيسية تعمل على تشكيل الثقافة الفكرية الصينية القديمة" (ص 98).

إصبعك عليه" (ص 118). وهذا بطبيعة الحال بعيد كل البُعد عن الأنظمة الاستبداديَّة المُعاصرة، بالأخص التي تصل إلى حد تأليه الرموز.

في الجزء السابق، أشرنا إلى كتاب هوينانزي the Huainanzi، والذي يتضمن العديد من النصوص التي تدور حول المنهج الاستبدادي في السُلطة. على سبيل المثال، هناك جملة مفادها أن "القادة الطَمّاعين والحكام الجُفاة يستضعفون رعاياهم ويستنزفونهم من أجل إشباع رغباتهم اللامتناهية" (Cleary, 2022, p. 22)، وكذلك:

إن حُكام الشعوب المُضطربة يطمحون دائمًا إلى توسيع أراضيهم؛ فهم لا يسعون لتحقيق العدالة والإنسانية، بل إنهم يسعون لسُمُوّ مكانتهم؛ ولا يعملون من أجل فضيلة الطريق. ويُعد هذا انحرافًا عن سُبُل البقاء، ومن دوافع الهَلَكة (Cleary, 2022, p. 30).

وبالتالي، حتى في الفترة التي أعقبت الفترة التي كُتب فيها التاو تي تشينغ the Tao Te Ching، كانت الأفكار المُناهضة للاستبداد جزءًا رئيسا من الفلسفة الطاوية. علاوة على ذلك، يوجد بُعد جندري لمسألة الاستبداديَّة في الفلسفة الطاوية. فعلى الرغم من وجود تأويلات مُتعددة لفكرة الجندر ضمن إطار الطاوية، بات من الواضح تمامًا بأن هذه الفلسفة تعاني من نقص شديد في الطرح الذكوري العسكري المُتعارف عليه للاستبداديَّة[13]. فعلى سبيل المثال، عمل أيمز Ames (1981) على تقديم مُراجعة شاملة ومُتزنة لمسألة الجندر في الطاوية، واختتم بقوله:

لقد افترضت الطاوية في سياقها التاريخي أن الأزمات الفردية، والاجتماعية، والسياسية هي نتيجة مُباشرة للسيطرة الذكورية... ينبغي على الإنسان الكامل (الوضع المثالي له) أن يجمع ويوازن ما بين الجوانب الذكورية والأنثوية سعيًا وراء المثالية (ص43).

من ثم، يُمكننا استنتاج أن الاستبداد الذكوري العسكري، بالرغم من تزايُد شعبيته، إلا أنه لم يحظ بقَبُول الفلسفة الطاوية. من جهة أخرى، أكدت وانغ Wang (2017) أن الطاوية قد تكون أكثر تناغمًا مع ما نُسميه حاليًا الفلسفة النسوية أو ما أسمته "المعرفة الجندرية gendered knowing" (ص 42). علاوة على ذلك، ذكرت بأن الفلسفة الطاوية «تُروّج لمنظور جنساني يُمكن عن طريقه فهم العالم والواقع» (ص 37)، ثم ربطت هذا الأمر بسياسة النوع الاجتماعي المُتمثلة في اللافعل. يُلاحظ أن شعبية هذا التيار، سواء كانت في الفلسفة أو في ممارسة السُلطة، تتزايد بشكل كبير مع التصاعد المُستمر للاستبداديَّة الذكورية العسكرية.

13 إن تصور السُلطة الذكورية يتمتع بتاريخ طويل في دراسات السُلطة المبكرة ولكنه أثبت أنه ذا قيمة محدودة (أنظر، على سبيل المثال Debebe, 2017). وقد ثبُت كذلك فشله في جائحة كوفيد19- الأخيرة (انظر، Johnson and Williams, 2020).

النِزاع

تذكُر العديد من المصادر أن كتاب التاو تي تشينغ يعكس «حقبة الممالك المُتحاربة» في الصين مُنذ ما يقرُب من 600 حتى 300 قبل الميلاد. كما أوضح جونسون Johnson (2000) أن «ضعف سُلالة تشو Chou الحاكمة، أدى إلى انقسام الامبراطورية إلى سلسلة من دول المدن. وفي هذا العصر المُضطرب، عانى الشعب كثيرًا من ويلات الحرب، والفقر، والوَباء" (ص 84). وذكر أيمز Ames (1981) أن «الأزمة الحقيقية لهذا العصر كانت تتمثل في النظام الاجتماعي والسياسي، وهذه الأزمة هي التي كان يعمل لاو تسي على مُعالجتها» (ص 29). علاوة على ذلك، تَحَدَّثَ والي Waley (1958) عن حركة السلام التي أقدم عليها سون تسو Sung Tzu وأتباعه في القرن الرابع قبل الميلاد «والتي دعت إلى منع الأسلحة، حتى يتم إنقاذ العصر الذي يعيشون فيه من ويلات الحروب المُستمرة» (ص 90). ولعل هذا المناخ التاريخي هو الذي استوحيت منه الآية 30 من كتاب التاو تي تشينغ[14]:

إن الذي يعلم كيف يُنير طريق الطاو للحاكم، لا يسعى إلى السيطرة على العالم بقوة السلاح. فمن طبيعة السلاح العسكري أن ينقلب على صاحبه. وحيثما سَكَنَت الجيوش نَمَت الشجيرات الشائكة. وإن الحروب العظمى، تتبعها دومًا سنوات السوء (Wu, 2003, p. 67).

وعلى المستوى الفردي، تنص الآية 31 على الآتي:

إن أسلحة الحرب الحادة تُنذر بالشر، حتى الكائنات تُبغضها. لذا فإن رجل الطاو لا يقع في غرامها .... الأسلحة ما هي إلا أذرع للشر (Wu, 2003, p. 69).

إن هذه الآيات تبدو واضحة تمامًا، ومع ذلك، يوجد أيضًا الآية 42 التي تنص على الآتي:

اسمحوا لي أن أُكرر ما تعلمته من غيري " إن الرجل القاسي حتمًا ستكون نهايته قاسية"(Wu, 2003, p. 99).

وفي تعليق على هذه الآيات، صرح ريد Reid (1925) أن "مؤسس الطاوية يضع نفسه في كفَّة السِلم، عوضًا عن كفَّة الحرب" (ص 291)، بالإضافة إلى أن الطاوية "ضد الروح العسكرية، والغزو، وإراقة الدماء" (ص 292). وذكر أيضًا أن "الحرب تأتي من الانفعالات الجامحة التي تقف في مُجابهة القانون الذي يسري في الطبيعة بأسرها" (ص 292). من ثم، وكما هو الحال في مُعظم الفلسفة الطاوية، فإن الحقائق يتم توضيحها على المستويين الفردي والمُجتمعي، حيث يُنظر إلى الاثنين على أنهما مُرتبطان ارتباطًا وثيقًا.

---

14 عادةً ما يُنظر إلى الآيات رقم 29 و30 و31 على أنها الآيات الثلاث التحذيرية للتاو تي تشينغ من ويلات الحرب. وقد ذكر يوتانغ Yutang 1948)) أن في هذه الآيات «تتوجه أفكار لاو تسي نحو الحرب التي تنشأ بسبب نسيان المرء الإرشادات التي تعمل ضد التحرش والنزاع والخلاف» (ص 164). وكتب كذلك بعد الحرب العالمية الثانية مُباشرًا أنه: «كان من الأفضل أن يقرأ بعض قادة العالم (هل هناك أي أحد منهم قرأ؟) أقوال لاو تسي عن الحرب» (ص 14).

إن فكرة "الشجيرات الشائكة» التي وردت في الآية 30 ذات صلة بأزمة الغذاء الراهنة. فكما أوضح برنامج الغذاء العالمي (2023)، بأن أكثر من 250 مليون فرد في 58 دولة يُعانون من شدة انعدام الأمن الغذائي أو ما هو أسوأ من ذلك في عام 2022، وقد ارتفعت هذه الحصيلة إلى ما يقرُب من 190 مليونًا في عام 2021. وأكد برنامج الغذاء العالمي أن النزاعات كانت هي «المُحرك الأساسي» لانعدام الأمن الغذائي الحاد في البلدان المُتضررة، تعقُبها الصدمات الاقتصادية وقسوة التغيُرات المناخية (ص 8). على أي حالٍ، إن النزاعات المُتتالية تُعيق تلبية الاحتياجات الأولية، التي هي بُؤْرة اهتمام فلسفة الطاوية السياسية. ومن الأمثلة الصارخة على ذلك، الاجتياح الروسي لأوكرانيا 2022-2023 وتداعياته اللاحقة على الأمن الغذائي[15].

التغيُر المناخي

إن التغيُر المناخي يُعد مُشاركًا أصيلًا في النزاعات وانعدام الأمن الغذائي. فبالرغم من أن العوامل المُسببة قد تكون غاية في التعقيد، إلا أن هناك شبه إجماع على أن التغيُر المناخي بمقدوره أن يؤدّي إلى نزاعات (انظر، Koubi, 2019). أما فيما يخُص انعدام الأمن الغذائي، قامت اللجنة الحكوميّة الدولية لشؤون تغيُر المناخ (IPCC) بعرض سلسلة طويلة من التقارير لتُبرهن من خلالها على أن التغيُر المناخي خارج المناطق البعيدة عن خط الاستواء، يفرض ضغوطًا هبوطية على الإنتاجية الزراعية، مما يؤدي إلى نزوح الأرصدة السمكية نحو المناطق البعيدة عن خط الاستواء، ونفاذها من المناطق القريبة لخط الاستواء، ومن ثم يتسبب ذلك في زيادة الجفاف وذوبان أنهار الألب الجليدية التي تمُدّ المناطق الزراعية بالمياه[16]. وفي حقيقة الأمر، إن التغيُر المناخي، وانعدام الأمن المائي والغذائي، والنزاعات باتت أمور يعضد بعضها البعض في العديد من بلدان العالم، وقد تجلى ذلك في ارتفاع أعداد النازحين بيئيًا أو لاجئي المناخ (أنظر، e.g. Berchin et al., 2017).

إن التصورات الطاوية مُستوحاة من العمليات الطبيعية، وقد اقترنت بالمنظور البيئي (انظر، Girardot et al., 2001)، والأخلاق البيئية (أنظر، Goodman, 1980; Ip, 1983)، والاقتصاد الإيكولوجي ecological economics[17] (انظر، Jenkins, 2002) وحتى الإيكولوجيا المُتعمقة deep ecology[18] (انظر، Sylvan and

15 أباي Abay وآخرون. (2023) صرحوا بأن: "التأثير الإجمالي للحرب الروسية الأوكرانية على أسواق الغذاء العالمية، سواء كان بشكل مُباشر وغير مُباشر عن طريق الأسمدة والطاقة، لم يكن له نظير على الأقل إبان نصف القرن الماضي" (ص 1). علمًا بأن هذا التصريح صدر قبل الهجمات الروسية منتصف عام 2023 على الموانئ الأوكرانية المُستخدمة لصادرات الحبوب.

16 انظر، https://www.ipcc.ch/.

17 **الاقتصاد الإيكولوجي أو البيئي Ecological economics** هو مجال جديد مُتعدد التخصُصات يسعى إلى فهم وإدارة النظام المُعقد للبشر وسائر الطبيعة بهدف التعاون المُشترك من أجل تحسين جودة الحياة بأكملها والحصول على رفاهية مُستدامة. علاوة على ذلك، فهو لا يكتفي بعدم الفصل ما بين الاقتصاد وعلم البيئة، بل هو جسر مُمتد يشمل علم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الآثار والتاريخ. وهو ينظر في كيفية تفاعل البشر مع البيئة في الماضي وكيفية تعاملهم معها مُستقبلًا. (أنظر، Costanza, R. (2020). Ecological economics in 2049: Getting beyond the argument culture to the world we all want. *Ecological Economics*, *168*, 1-5. https://doi.org/10.1016/j.ecolecon.2019.106484؛ أنظر أيضًا، Costanza, Robert & Erickson, Jon & Farley, Joshua. (2020). Introduction: What is Ecological Economics and Why Do We Need it Now More Than Ever. 10.4337/9781789900958.00008.).

18 **الإيكولوجيا المُتعمقة أو الايكولوجيا متطرفة deep ecology** تصور شمولي عن البيئة يُركز على المُساواة المُتأصلة بين الأنواع؛ بما في ذلك الكائن البشري. (https://archive.unescwa.org/sd-glossary/deep-ecology)

Bennett, 1988). وكما أشار أونيل O'Neill ومويلر Moeller (2024)، إلى أن "تناغم المرء مع الطبيعة من وجهة النظر الطاوية، يمنحه ما هو أعلى من تلك المحاولات السافرة للهيمنة" (forthcoming). على أي حالٍ، بما أن هذه التعاليم طويلة نسبيًا، فمن المُحتمل أن تأتي ببعض الأفكار المُتعلقة بموضوع التغيُر المناخي. لذا يبدو أن المُشاركة المُنتظرة للطاوية في أخلاقيات المناخ سوف يكون لها أهمية كبرى في هذا الصدد.

إن أحد أهم المصادر الطاوية المُتعلقة بالقضايا البيئية هو الآية 25 من كتاب التاو تي تشينغ. فعلى الرغم من أنها موجزة إلى حدٍّ بعيد، إلا أنها تُعد مصدرًا يُستعان به كثيرًا فيما يخص الأخلاقيات البيئية وعلاقتها بالطاوية[19]:

كان هُناك شيء غير معروف ولكنه مُكتفي بذاته، وُجِدَ قبل السماء والأرض. ساكن ولا مُتَناهٍ، ثابت لا يتغير، يتغلغل في كل الكائنات بلا قُصُور، يُمكن اعتباره أم الكون. لا أعرف اسمًا له؛ أنا أُطلق عليه "الطاو"؛ وفي حالة غياب كلمة أسمى، أطلق عليه "الأعظم" (Wu, 2003, p. 53).

إن ذلك الشئ المُجرد «أم الكون» الذي يُمُدّ جميع الكائنات، هو نفسه الذي يمنح قدرات ومبادئ طبيعية غير إلهية تعمل على تعزيز العالم «بلا قُصُور». كما أشار إيب Ip (1983)، «فإن لاو تسي كان يرى أن الطاو هو الحقيقة المُطلقة للطبيعة.... والطاو ليس على غرار الإله الخالق، بل بالأحرى هو تصور مُجرد تمامًا للطبيعة" (ص 338). ومن ثم، ليس من قبيل إستباق الأحداث أن نربط هذا التصور التجريدي للطبيعة بالمبادئ البيئية والعلوم البيئية وعلوم المناخ. ففي الحقيقة، ربما هذا التَوَجُّه كان مُتواجدًا منذ ظهور الطاوية. وكما لاحظ جودمان Goodman (1980)، أن أتباع الطاوية كانوا من بين العلماء الصينيين الأوائل، و«كانوا مراقبين جيدين للطبيعة التي كانوا يجلونها بشدة» (ص 73).

توجد صلة هاهنا ما بين الفلسفة النسوية والطاوية التي شرحها وانغ Wang (2017)، فنرى مبدأ الطاو الأنثوي يُلح على ضرورة العمليات التوليدية. كما ذكر وانغ:

تبعًا للتصور الصيني الكلاسيكي، فإن كل الأشياء تنبُت من الأرض المُظلمة والأماكن المخفية. فالنبات يأتي من البذرة التي كانت مُستترة في قيعان الأرض؛ لأن قوة النمو والتغذية تحت السطح تُتيح لها فرصة الظهور والمُشاهدة .... ومن ثم ينبغي الإشادة بقدرة وتفرد دور الأنثى الأبطأ. فإن الأنوثة... بمقدورها أن تَهَب حيزّ لنمو الأشياء (ص 41).

وبشكل أكثر خصوصية، عمل شيا Xia وشونفيلد Schonfeld (2011) على استكشاف الإسهام المعرفي للفلسفة الطاوية فيما يخص قضية التغيُر المناخي. وقد وصفا القضية بأنها إحدى القضايا الثقافية؛ أي «القيم

19 الآية 25 هي واحدة من الآيات القلائل التي عرضها وناقشها ايب 1983) Ip)، كمثال.

والآراء، التي تتجلى في المسلك ويُعبر عنها في الخيارات» (ص 196). وقالا أيضًا: «بما أن التغيُر المناخي هو في خاتمة المطاف ناتج عن أزمة ثقافية، فإن الحل ينبغي أن يكون ثقافيًا كذلك (ص 197)»، واعتبرا أن ذلك الحل مُتواجد في الفلسفة الطاوية بالفعل، ويتمثل في «الآراء التي تؤكد على ضرورة حماية البيئة، والاستشرافات التي تدور حول عالم ما بعد الاستهلاك، والشرح المُتعلق بأخلاقيات المناخ» (ص 197)[20]. وقد أشار شيا Xia وشونفيلد Schonfeld بشكل خاص إلى العديد من المبادئ الطاوية المُرتبطة بتقديس الطبيعة. علاوة على ذلك، لاحظا بوجه عام أن في الفلسفة الطاوية «العلماني والمُقدس يتحدا مع بعضهم البعض، والطبيعة تكتسب قيمة جوهرية في كل أحوالها» (ص 199). وهذا ما أشار إليه إيب Ip (1983) بـمصطلح «المساواة الوجودية ontological equality» بين الكائنات في الطبيعة[21].

إن شيا Xia وشونفيلد Schonfeld كانا أكثر تحديدًا بعض الشيء[22]:

بالنسبة إلى أخلاقيات المناخ، تقوم الطاوية بتعيين مسؤوليتين للبشر. فمن الناحية الإيجابية؛ الطاو هو الذي أَحْدَثَ الحياة والتعقيدات، وينبغي على البشر القيام بنفس الشئ. لذا فمسؤوليتهم الأولى تجاه التغيُر المناخي تتمثل في تعلُّم كيفية أن يكونوا أُمناء على المجال الحيوي، ورعاية الحياة، والحفاظ على التعقيدات. أما من الناحية السلبية، فينتهج الطاو سياسة اللافعل؛ وذلك عن طريق التصرُّف على نحو يتناغم مع التدفق الطبيعي. ومن ثم، فإن مسؤولية البشر الثانية تتمثل في الكَفَّ عن عرقلة التدفق، وتعلُّم كيفية الإستجابة للتغيُرات المناخية، لتسكين الصدمات وتخفيف التوابع (ص 200).

ثم بعد ذلك انتقل شيا Xia وشونفيلد Schonfeld إلى قضايا العدل أو التوزيع بالنظر إلى أزمة انبعاثات غازات الاحتباس الحراري greenhouse gas emissions، موضحين أن البلدان ذات الدخل المُرتفع هي المُتسبب الرئيس في هذه الانبعاثات، في حين أن انعكاس هذا الأمر كان واضحًا على مستوى العالم، بما في ذلك العديد من البلدان ذات الدخل المُنخفض التي لم تُساهم في هذه الأزمة بنفس القدر. علاوة على ذلك، تمت الإشارة إلى هذه النقطة بالتحديد عند رولستون Rolston (1987) فيما يخص «الغرب» (عادةً ما يكون غير مُحدد) حيث قال:

إن المِثَال الطاوي هو المِثَال الأكثر اتزانًا بالنسبة إلى مُجتمع استقر في علاقة طويلة الأمد مع محيطه. والعالم الغربي يحتاج إلى استجلاب ميتافيزيقا مُستقرة مثل هذه لتواكب حقائق القدرات الاستيعابية للأنظمة

20 للأسف، قلل المؤلفون من أهمية البُعد الاقتصادي للأزمة ودور تسعير الكربون في الحل. لكنهم كانوا على حق في أن للقضايا الثقافية أهمية مُتزايدة في المجال الواسع للاقتصاد السياسي العالمي (أنظر، Singh, 2020).

21 إن ايب Ip (1983) يقول بأن: «نحن في حاجة إلى فلسفة بمقدورها كسر الحاجز الميتافيزيقي الذي يفصل الإنسان عن عالمه، فلسفة بمقدورها إعادة وصل الروابط الأساسية التي انقطعت عن طريق الخطأ لفترة طويلة بين البشر وغير البشر» (ص. 342). (فيما يتعلق بالمساواة الوجودية، انظر أيضًا O'Neill and Moeller(2024).

22 كما أوضحنا في الهوامش السفلية سلفًا، تشير فكرة «اللا فعل» في هذا الاستشهاد إلى المفهوم الطاوي وو وي wu-wei.

البيئية التي تدعم الثقافة. فالطاويون عملوا لعدة قرون في الصين الكلاسيكية، ويعلمون جيدًا معنى الحياة المُتوازنة. لذا يُمكن لنموذجهم أن يكون مُلهمًا (ص 180).

هناك علاقة غير مُعلنة ما بين تلبية الاحتياجات عبر توفير الأساسيات اللازمة والمعيشة البسيطة والتغيُر المناخي. على سبيل المثال، قام راو Rao ومين Min (2018) على تطوير ما أسموه «مستويات المعيشة اللائقة decent living standards» اعتمادًا على منهج السلع الأساسية الذي قال به راينرت Reinert (2018) ولكنهما في نفس الوقت يستمدان ضمنيًا من شو Shue (1993)، الذي فرق ما بين انبعاثات الكَفاف وانبعاثات التَرَف. على أي حالٍ، إن مستويات المعيشة اللائقة تتكون من أنواع السلع والخدمات التي تُعد «أساسية ولا غنى عنها» للحد من «أضرار الوصول إلى حالة الرفاهية الإنسانية الأساسية» التي «قد تتسبب في زيادة المُتطلبات المادية على مستوى الأسرة أو الجماعة أو المُجتمع» (ص 1. 232-233). ومن ثم، يبدو أن هذا السعي مُتسق تمامًا مع تَطَلُّعات الحياة البسيطة للطاوية وأماني شيا Xia وشونفيلد Schonfeld (2011) في الوصول إلى "صورة مُغايرة من الحضارة" (ص 202).

تأمُّلات في التطبيق العملي

كما جاء في المُقدمة، تقوم هذه الورقة بمُناقشة الطاوية الفلسفية على وجه التحديد وإمكانية تطبيقها في الوقت الراهن. على الرغم من ذلك، فمن الضروري أن نتأمل بإختصار شديد المُمارسة الطاوية من حيث علاقتها بالقضايا المُشار إليها هاهنا. وهذه ليست مُهمة بسيطة؛ لأنه كما أوضح كيركلاند Kirkland (2004)، بأن «لدى ممارسي الطاوية خلفيات واهتمامات ونشاطات مُتنوعة، ومن ثم يصعُب تأقلُمهم بشكل كافي مع أي نمط مُجتمعي ثقافي واحد» (ص 117). ومع ذلك، هناك شيء وحيد ظاهر من مؤلفات هينتون Hinton (2020) وكيركلاند Kirkland (2004)، وهو أن الطاوية تضمنت رموزا أدبية صينية قديمة كان لها بعض الأثر على المسؤولين الحكوميين، وتعتبر تلك الحقيقة بمثابة رد على الصورة النمطية التي تُظهر الطاوي بأنه مُجرد شخص ناسك وزاهد. علاوة على ذلك، أشار كيركلاند Kirkland

إلى هذه الطائفة من مُمارسي الطاوية باسم «أدباء الطاوية literati Taoism». ويبدو أن تلك الطائفة اشتملت كذلك على رموز نسائية، مثل كاو وينيي Cao Wenyi، وهي إحدى شُرَّاح الطاوية، وقامت بتأليف كتاب عُرف باسم "سيد السكينة والفضيلة الإنسانية والكمال الطاوي master of tranquility and human virtue and the perfection of Tao" في القرن الثاني عشر (Wang, 2017, p. 41). كما عملت أيضًا على تأليف نصها الطاوي «أُنشُودة العلة الأولى للطاو العظيم The Song of the Ultimate Source of the Great Tao». والجدير بالذكر أنها أفلتت من زواج مُرتب له لمواصلة دعوتها (Wang, 2020).

يبدو أيضًا أن الطاوية على النقيض من بوذية الزن Zen اليابانية، فالمُمارسة الطاوية كانت تتسم بالديمقراطية إلى حدٍّ ما من حيث إنها قللت من قيمة العلاقة ما بين المُعلم والتلميذ واشتملت على العديد من أنماط المُشاركة المُتنوعة. علاوة على ذلك، فقد عُقدت تلك المُمارسات داخل مُحيط الصوامع وخارجه. وركز الكثير منها عبر قرون على فكرة «الخيمياء الداخلية inner alchemy[23]» أو «التطوير الذاتي self-cultivation»، بيد أن هذا الأمر يُفترض أنه كان يحدُث دائمًا ضمن أُطُر اجتماعية وسياسية أوسع. على سبيل المثال، وصل كيركلاند Kirkland (2004) إلى نتيجة مفادها أن «أولئك الذين إستحوذت عليهم فكرة إدراك الوجود، والتعبير عن حياتهم وتصوراتهم، بحسب الطاوية كانوا مجموعة من الأشخاص الذين لم يبذلوا جهدًا كبيراً لإيجاد سُبُل للعيش مع بعضهم البعض» (ص 180). هذه المُرونة هي التي قادت إلى الائتلاف الكونفوشيوسي الجديد neo-Confucian synthesis[24] المُكوَّن من الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية[25].

لقد أشرنا مُسبقًا إلى نص هواينانزي Huainanzi الطاوي الذي ترجمه كليري Cleary (2022)، وذكر في مُقدمته أن هذا النص "يربط ما بين التربية البيئية والتطوير الذاتي والتطور الاجتماعي والسياسي ويضعهم في تصور شمولي للحياة الإنسانية" (p. vii). كما أنه لخص النص بقوله:

إن سادة الطاوية يُدافعون عن إقامة مُجتمع تعددي ومتساوي مع الحد الأدنى من تدخل السُلطة والحد الأقصى من إتاحة الفرص لتحقيق الذات، كما أنهم يعملون على طرح توازنًا واعيًا ما بين العالمين البشري والطبيعي، مُعتبرين ذلك أمرًا مُلحًا لدرجة أنهم يشيرون إليه على أنه توازن مُقدس (p. viii).

تتطابق هذه المُلاحظات مع مُلاحظات كيركلاند Kirkland (2004)، الذي انتهى إلى أن "مُمثلي الطاوية لم يكونوا أبدًا على عداوة مع السُلطة في عصرهم، ناهيك عن تصور السُلطة نفسها" (ص 142). وهذا يتعارض مع ما أشار إليه كيركلاند Kirkland بـ «الإفك الكونفوشيوسي» الذي يقول إن «الطاويين لم يلعبوا بتاتًا أي دور في بناء

23 **الخيمياء الداخلية أو Neidan**؛ هي مجموعة من المذاهب الباطنية والمُمارسات الجسدية والعقلية والروحية التي يستعين بها اتباع الطاوية لإطالة أعمارهم، والعمل على إنشاء جسد روحي خالد يظل حتى بعد الموت على قيد الحياة. تُعرف الخيمياء الداخلية أيضًا باسم Jindan ("الإكسير الذهبي")، وهي تجمع بين النظريات المُستمدة من الكيمياء الخارجية waidan، وعلم الكونيات المترابط (بما في ذلك المراحل الخمس)، وشعارات ييجينغ Yijing، والنظرية الطبية، مع تقنيات التأمل الطاوي، وجمباز الطاويين.، والنظافة الجنسية. (https://www.internalalchemyschool.com/internal-alchemy)

24 في القرن الثاني الميلادي، قدم "ما جنغ Ma-Jung" و"شنغ- هسوان Cheng- Hsuan" شروحًا على الأفكار الكونفوشيوسية، لاستعادة مجدها، وفي القرن السابع، قدم "كونغ ينغ- تا Kung Ying- Ta" شروحًا على الكونفوشيوسية أكثر عُمقًا، أخذت هذه الأفكار تتطور حتى وصلت إلى أعلى درجات الشمولية على يد "تشو هسي Chou-His"، وأصبحت الكونفوشيوسية الجديدة بعد وفاته العقيدة الرسمية للدولة. (انظر، جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوى، عالم المعرفة، 1993، ص277، 278).

25 هذه هي العلة، كما ذكر كيركلاند (Kirkland 2004)، بأن «آثار كل فكرة وممارسة طاوية تقريبًا لا تزال موجودة في الصين بعقول وحياة كل إنسان يعيش داخل شرق آسيا حتى الآن» (ص 207).

النظام السياسي الصيني" (ص 149). لذا يُمكننا بأريحية شديدة قبول فكرة أن المُمارسة الطاوية التقليدية امتدت لتشمل السُلطة[26]. وهذا أمر ضروري؛ لأن الحكم الأفضل هو المَرجو لمُجابهة الأزمات التي نُناقشها هاهنا بجدية.

المُلخص والاستنتاجات

ليس من طبيعة الفلسفة الطاوية أن تقوم بتقديم أطروحات صارمة ومُلزمة لمواجهة الأزمات العالمية التي وقعت بعد آلاف السنين من نشأتها. ورغم ذلك، فإننا عثرنا على بعض العناصر الموضوعية المُهمة وآراء ذات صلة بداخل هذا المذهب الفكري العتيق، على سبيل المثال، فيما يخص التحذيرات، انظر برَويّة إلى الآية 53 من نص التاو تي تشينغ[27]:

إن البَلَاط الملكي نظيف للغاية ومُزخرف بعناية، لكن الحقول بورًا ومليئة بالأعشاب الضارة، ومخازن القمح خاوية جدًا! إنهم يرتدون ملابس فاخرة، ويحملون سيوفًا حادة، ويُفرطون في الطعام والشراب، ويستحوذون على ثروات زيادة عن حاجتهم! إنهم سُفراءُ للسَطو! لكن بالنسبة إلى الطاو، فماذا يعرفون عنه؟ (Wu, 2003, p. 121).

وبشئ من الإيجابية، نظر بيتمان Pettman (2005) إلى علاقة الطاوية بالاقتصاد السياسي العالمي ومفاهيم الأمن، مُقدمًا لمحة عن منهج أفضل:

من خلال نظرة عامة على الأدب الطاوي، بدَا أنه يسعى إلى تقديم نوعية من الإرشادات التي يلتفت إليها صُناع القرار الذين يُبقون «أسلحتهم الحادة بعيدًا، حيث لا يكاد يراها أحد». إن الأدب الطاوي ينظر إلى جميع الأسلحة بنوع من «التشاؤم». ويُعارض بشدة الغزو باستخدام القوة، ويسعى إلى تحقيق الرفاهية للطبقة العادية من الناس، بالإضافة إلى ذلك، فهو يحاول كبت رغبة اقتناء الأشياء التي يصعب الحصول عليها، ولا يهتم بالشُهرة والثراء.

علاوة على ذلك، تعتبر الطاوية القضايا الإنسانية والبيئية قضايا رئيسة في فلسفتها. انظر برَويّة إلى الآية الأخيرة، الآية 27:

---

26 على سبيل المثال، عند تأمل معنى «الخيرية goodness» في الأخلاق الطاوية، مع استحضار الائتلاف الكونفوشيوسي الجديد neo-Confucian synthesis، يذكر بوكوفر Bockover (2011) أن «التفوق» الأخلاقي «يتطابق بشكل واضح مع الحكم الرشيد للعلاقات الإنسانية في الفكر الطاوي والكونفوشيوسي. علاوة على ذلك، أن تكون «أخلاقيًا» فهذا الأمر ينطبق عليك عندما تكون لديك القدرة والسُلطة لحكم الآخرين بطريقة تجلب لهم المنفعة، على نفس النحو الذي يتصرف به الطاو مع المخلوقات التي لا تُعد ولا تُحصى، ومن ثم يتوجب على الشخص «المُوكل من السماء» أن يُحكم تطوير وتطبيق تلك المهارة، بنفس الطريقة التي يقوم بها الحرفي في مهنته" (ص 150).

27 بالمثل، قام يوتانغ Yutang (1948) بتقديم ترجمة لتشوانغ تسو على النحو الآتي: "إن الأغنياء يُسارعون ويكنزون الثروة التي لا ينتفعون بها. إن استجابتهم ضَحلة لمظاهر الراحة" (ص 247).

إن الحكيم دومًا بارع في حماية البشر، لذا لا يتم التخلي عن أحد؛ بارع دومًا في حماية الأشياء، لذا لا يتم فُقدان شيء (Wu, 2003, p. 59).

على الرغم من وجود بعض الجدل القائم ما بين العلماء الصينيين، إلا أن هناك صلة مبدئية تربط الطاوية بالتقاليد الدينية والفلسفية «الغربية» مُتمثلة في مفهوم «السكينة quietism»[28] الذي حقق رواجًا واسعًا في أوروبا إبان القرن السابع عشر كتقليد من تقاليد المسيحية[29]. أما عن ربط الطاوية بالمسيحية، فقد حدث مع ترجمة والي Waley (1958) المؤثرة للتاو تي تشينغ وتعليقه عليه. وكان تعليق والي Waley مُستوحى إلى حدٍ ما من التقاليد اليوغية الهندية yogic traditions، لكنه أيضًا ترك مساحة للتقاليد المسيحية[30]. كما أوضح ياو Yao (2022)، بأن هذا الارتباط ربما كان غير دقيق لغويًا، لكنه أحدث تأثيرًا كعنصر موضوعي. علاوة على ذلك، هناك أيضًا روابط ما بين أنواع السكينة المسيحية والطاوية والزنية التي يُمكن العمل على استكشافها بشكل مُجد (انظر، Raz, 2010). إن العناصر الموضوعية المُشتركة تُشير إلى أن التصورات الطاوية على درجة عالية من الشمولية، ويُمكنها أن تتحول لواقع إيجابي.

على الرغم من تلك الشمولية المزعومة، إلا أن هناك حقائق بعيدة كل البُعد عن الآراء والحكمة الطاوية. ففي العديد من البلدان، بما في ذلك مجموعة البريكس BRICS التي انتشرت مؤخرًا، أصبحت الاستبداديَّة المُتصاعدة، والقومية الاقتصادية، وحتى القومية الإثنية تحظى بشُهرة واسعة. ومن المُفارقات العجيبة أن هذا الأمر شَمِلَ الصين، مَنْشَأ الطاوية. فعلى سبيل المثال، في تعليق على مجموعة البريكس BRICS وموقفها السياسي تجاه التغيُر المناخي، ذكر بيسون Beeson وزينغ Zeng (2018) أن «موقف الصين بشأن التغيُر المناخي مُتأثر بشكل كبير بضغوط ومخاوف السياسية الداخلية، وليس بسبب المُعتقدات المؤيدة للحفاظ على البيئة أو المسؤوليات التي قد تنشأ عن القيادة العالمية" (p. 1968, emphasis in original). وبالمثل، تشكك جينكينز Jenkins (2002) في قدرة الائتلاف الكونفوشيوسي الجديد neo-Confucian synthesis الصيني على توجيه السياسة البيئية في الصين الحديثة، وذهب إلى حد الإشارة إلى أن هذه القيم أصبحت الآن مسؤولية الصينيين في الخارج، وهذا ليس توجهًا إيجابيًا.

وعلى الرغم من ذلك، نجد في الفلسفة الطاوية اهتمامًا واسعًا بالاحتياجات الإنسانية، وتحذيرات بشأن العواقب السلبية للنزاع، وإرشادات حول كيفية الحكم دون تَصرُّفات استبداديَّة، بالإضافة إلى عرض نظريات حول كيفية العمل مع الطبيعة وليس ضدها. كل هذه التصورات لها صلة بالأزمات العالمية الراهنة والاستجابات

---

28 **السكينة أو الطمأنينة quietism**، هو مذهب يقول بأن الاتحاد مع الإله يُسبب حالة من الطمأنينة التامة. (انظر، مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، دون طبعة، 2007، ص 327).

29 ومن المثير للاهتمام أن التقييم المُبكر لمفهوم السكينة quietism المسيحي الذي ناقشه جونز Jones (1917) كرر فيه المُمارسة الطاوية المُتمثلة في اللافعل بقوله: «إنها ليست مسألة فعل أو لافعل؛ بل إنها مسألة الأسلوب الصحيح عند البدء في الفعل" (p. 2, emphasis in original).

30 بعض هذا الأمر يُعد ضمنيًا، على سبيل المثال، «مع التحضير الطقسي لاستقبال الروح الهابطة، ظهرت فكرة تطهير القلب لكي يكون موطنًا يليق بالروح» (Waley, 1958, p 43). مثل هذه الأفكار ستتوافق تمامًا مع تلك التي جاء بها جونز Jones (1917).

الأخلاقية لها في شكل إدارة رشيدة. لذلك، فإن الانشغال في هذه الأيام بالفلسفة الطبيعية والأخلاقية الطاوية من شأنه أن يؤدي إلى بعض الإيجابيات الملموسة، بل قد نذهب إلى أبعد من ذلك ونذكر بأن «نظرًا لخطورة تعدد الأزمات الراهنة، فإن هذا الانشغال بالفلسفة الطاوية يتضمن بعض الحاجة المُلحة».

References

Abay, K.A., Breisinger, C., Glauber, J., Kurdi, S., Laborde, D. and Siddig, K. (2023), "The Russia Ukraine war: implications for global and regional food security and potential policy responses", Global Food Security, Vol. 36, 100675

Ames, R.T. (1981), "Taoism and the androgynous ideal", Historical Reflections/R eflexions Historiques, Vol. 8 No. 3, pp. 21-45

Arneson, R.J. (1999), "Human flourishing versus desire satisfaction", Social Philosophy and Policy, Vol. 16 No. 1, pp. 113-142

Baxter, J.L. and Moosa, I.A. (1996), "The consumption function: a basic needs hypothesis", Journal of Economic Behavior and Organization, Vol. 31 No. 1, pp. 85-100

Beeson, M. and Zeng, J. (2018), "The BRICS and global governance: China's contradictory role", Third World Quarterly, Vol. 39 No. 10, pp. 1962-1978

Berchin, I.I., Valduga, I.B., Garcia, J. and de Andrade Guerra, J.B.S.O. (2017), "Climate change and forced migrations: an effort towards recognizing climate refugees", Geoforum, Vol. 84, pp. 147-150

Bockover, M.I. (2011), "Daoism, ethics, and faith: the invisible 'goodness' of life", Journal of Daoist Studies, Vol. 4, pp. 139-153

Brancati, D. (2014), "Democratic authoritarianism: origins and effects", Annual Review of Political Science, Vol. 17, pp. 313-326

Braybrooke, D. (1987), Meeting Needs, Princeton University Press, Princeton.

Cleary, T. (2022), Sage Leadership: Taoist Wisdom to Overcome Conflict and Create a Just World: Translations from the Huainanzi, Shambhala, Boulder, CO.

Corning, P.A. (2000), "Biological adaptation in human societies: a 'basic needs' approach", Journal of Bioeconomics, Vol. 2 No. 1, pp. 41-86

Creel, H.G. (1956), "What is Taoism?", Journal of the American Oriental Society, Vol. 76 No. 3, pp. 139-152

Creel, H.G. (1970), What Is Taoism and Other Studies in Chinese Cultural History, University of Chicago Press, Chicago.

Debebe, G. (2017), "Navigating the double bind: transformations to balance contextual responsiveness and authenticity in women's leadership development", Cogent Business and Management, Vol. 4 No. 1, 1313543

Doyal, L. and Gough, I. (1991), A Theory of Need, Guilford Press, New York.

Girardot, N.J., Miller, J. and Xiaogan, L., (Eds) (2001), Daoism and Ecology: Ways within a Cosmic Landscape, Harvard University Press, Cambridge, MA.

Glasius, M. (2018), "What authoritarianism is ... and is not: a practical perspective", International Affairs, Vol. 94 No. 3, pp. 515-533

Goodman, R. (1980), "Taoism and ecology", Environmental Ethics, Vol. 2 No. 1, pp. 73-80

Griffen, J.P. (1986), Well-Being: Its Meaning, Measurement, and Moral Importance, Clarendon Press, Oxford.

Hinton, D. (2015), Tao Te Ching, Counterpoint, Berkeley.

Hinton, D. (2020), China Root: Taoism, Ch'an, and Original Zen, Shambhala, Boulder, CO.

Human Rights Foundation (2020), "Authoritarianism rising on international day of democracy", available at: https://hrf.org/authoritarianism-rising-on-international-day-of-democracy/

Inglehart, R. and Norris, P. (2012), "The four horsemen of the apocalypse: understanding human security", Scandinavian Political Studies, Vol. 35 No. 1, pp. 71-96

International Labour Organisation (1938), The Workers' Standard of Living, International Labour Organisation, Geneva.

Ip, P.-K. (1983), "Taoism and the foundations of environmental ethics", Environmental Ethics, Vol. 5 No. 4, pp. 335-343

Jenkins, T.N. (2002), "Chinese Traditional thought and practice: lessons for an ecological economics worldview", Ecological Economics, Vol. 40 No. 1, pp. 39-52.

Johnson, C. (2000), "Taoist leadership ethics", Journal of Leadership Studies, Vol. 7 No. 1, pp. 82-91

Johnson, C. and Williams, B. (2020), "Gender and political leadership in a time of COVID", Politics and Gender, Vol. 16 No. 4, pp. 943-950

Jones, R.M. (1917), "Quietism", Harvard Theological Review, Vol. 10 No. 1, pp. 1-51

Kasparov, G. and Halvorssen, T. (2017), "Why the rise of authoritarianism is a global catastrophe", Washington Post, February 13, available at: https://www.washingtonpost.com/news/ democracy-post/wp/2017/02/13/why-the-rise-of-authoritarianism-is-a-global-catastrophe/

Kirkland, K. (2004), Taoism: The Enduring Tradition, Routledge, New York.

Koubi, V. (2019), "Climate change and conflict", Annual Review of Political Science, Vol. 22, pp. 343-360

Lisk, F. (1977), "Conventional development strategies and basic fulfillment: a reassessment of objectives and policies", International Labour Review, Vol. 115 No. 2, pp. 175-191

O'Neill, R. and Moeller, H.-G. (2024), "Daoist economic ethics", in Barrera, A. and Amore, R.C. (Eds), Oxford Handbook of Religion and Economic Ethics, University Press, forthcoming.

Pettman, R. (2005), "Taoism and the concept of global security", International Relations of the Asia Pacific, Vol. 5 No. 1, pp. 59-83

Pigou, A.C. (1932), The Economics of Welfare, Macmillan, London.

Rao, N.D. and Min, J. (2018), "Decent living standards: material prerequisites for human wellbeing", Social Indicators Research, Vol. 138 No. 1, pp. 225-244

Raz, J. (2010), "Kill the Buddha: quietism in action and quietism as action in Zen Buddhist thought and practice", Common Knowledge, Vol. 16 No. 3, pp. 439-456.

Reader, S. (2005), "Introduction", in Reader, S. (Ed.), The Philosophy of Need, Cambridge University Press, Cambridge, pp. 1-24

Reid, G.P. (1925), "Revolution as taught by Taoism", International Journal of Ethics, Vol. 35 No. 3, pp. 289-295

Reinert, K.A. (2018), No Small Hope: Towards the Universal Provision of Basic Goods, Oxford University Press, New York.

Reinert, K.A. (2023), "Basic needs approach", in Clarke, M. (Ed.), Encyclopedia of Development, Edward Elgar, Cheltenham, pp. 59-63

Rolston, H. (1987), "Can the East help the West to value nature?", Philosophy East and West, Vol. 37 No. 2, pp. 172-190

Shue, H. (1993), "Subsistence emissions and luxury emissions", Law and Policy, Vol. 15 No. 1, pp. 39-60

Singh, J.P. (2020), "Introduction", in Singh, J.P. (Ed.), Cultural Values in Political Economy, Stanford University Press, Stanford, pp. 1-29

Sumner, L.W. (1995), "The subjectivity of welfare", Ethics, Vol. 105 No. 4, pp. 764-790.S.

Sylvan, R. and Bennett, D. (1988), "Taoism and deep ecology", Ecologist, Vol. 18 Nos 4-5, pp. 148-159.

Vasilyeva, O. and Libman, A. (2020), "Varieties of authoritarianism matter: elite fragmentation, natural resources and economic growth", European Journal of Political Economy, Vol. 63, 101869

Waley, A. (1958), The Way and its Power: Lao Tzu's Tao Te Ching and its Place in Chinese Thought, Grove Press, New York.

Wang, R.R. (2017), "Dao becomes female: a gendered reality, knowledge, and strategy for living", in Garry, A., Khader, S.J. and Stone, A. (Eds), The Routledge Companion to Feminist Philosophy, Routledge, New York, pp. 35-48

Wang, R.R. (2020), "A journey of transformative living: a female Taoist reflection", in Thorgeirsgottir, S. and Hagengruber, R.E. (Eds), Methodological Contributions on Women's Contribution and Influence in the History of Philosophy, Springer, Cham, pp. 97-109

World Food Programme (2023), Global Report on Food Crises 2023, Rome.

Wu, J.C.H. (2003), Tao Te Ching, Shambhala, Boston.

Xia, C. and Sch€onfeld, M. (2011), "A Daoist response to climate change", Journal of Global Ethics, Vol. 7 No. 2, pp. 195-203

Yao, D. (2022), "Qian Xuexi and William Empson's discussion of Arthur Waley's English translation of the Daodejing", Religions, Vol. 13 No. 1, p. 751

Yutang, L. (1948), The Wisdom of Laotse, Modern Library, New York.

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com